صور فيهِ العلم بصورة عذراء غطت عينيها لكي لا ترى المدافع منصوبة امامها . اما هذه السنة فقد صوّر العلم بصورة تسر الناظر لانها صورت تشجع الفنون والصنائع فعسى ان يحقق المستقبل فألنا

الدخان ودخوله الى الشرق

لا يخفى ان الدخان دخل الى الشرق سنة ٩٩٩ هـ وقد ارخ بعضهم ذلك بقولهِ

سألوني عن الدخان فقالوا هل لهُ في كتابكم ايماء
قلت ما فرط الكتاب بشيء ثم ارّخت يوم تأتي السماء .

وقد عثرت اثناء تردّدي الى المكتبة الاهلية في باريس على رسالة للشيخ ابرهيم اللقاني في المخدرات والمرقدات ذكر فيها البنج وهو الحشيش والشوكران والداتورة والافيون والدخان والقهوة على زعم القائلين في ذلك العهد ان قهوة البن من المخدرات ولهم فيها رسائل وفتاوى كثيرة وهم بين محلل ومحرّم حتى ان احد سلاطين بني عثمان امر بشنق رجل في ادرنة امام قهوة فتحها هنالك

وهاك ما جاء عن الدخان في هذه الرسالة مما لا يخلو من فائدة لانهُ لم ينشر قبل الآن فيما اعلم قال

« قد حدث في آخر القرن العاشر شيء يقال له الدخان وللعامة فيهِ عبارات فمنهم من يسميهِ الطالعة ومنهم من يسميهِ التباك ومنهم من يسميهِ الشون ومنهم من يسميهِ التابعة ومنهم من يسميهِ الدخان . واول من جلبهُ الى البرّ الرومي الجيل المسمى بالانكليز من النصارى واول من احدثهُ بارض المغرب رجل يهودي يزعمونهُ حكيماً لهُ فيهِ نظم ونثر وذكر لهُ منافع عدة زاد عليها ارباب البطالة كثيراً . واول من اخرجهُ ببلاد السودان المجوس ثم جُلب الى مصر والحجاز واليمن والهند وغالب اقطار بلاد الاسلام وعمّ بهِ البلوى في اوائل شروعهِ بمصر دخل بهِ رجل من تافيلان من بلاد المغرب يقال لهُ احمد بن عبد الله الخارجي المشهور بسفك الدماء بغير حق واهانة اهل بيت الرسول صلى الله عليهِ وسلم من اشرف ملوك المغرب . وكان على العامة يزعم انهُ من العارفين واهل السلوك وهو مغرور مخدوع . نعم كان من اهل العظائم والاستخدامات والسحريات فعلى الفتنة

عاش وعليها مات. فسئل عنهُ شيخنا وقدوتنا العلامة الشيخ سالم السنهوري فافتاه بالتحريم فاستمر ذلك تعنتهُ والقى الى شياطين اخوانهِ ما اتى بهِ الشيخ خطأً وانهُ جائز الاستعمال وهو من اقل الحلال فباؤوا اليهم النكال . ولازم شيخنا المذكور رحمهُ الله الافتاء بذلك الى ان مات لم يخالفهُ مخالف . وشاهدت ذلك منهُ سماعاً وكتاباً وتابعهُ على ذلك اهل الدين والصلاح والرشد والنجاح من الحنفية وغيرهم. وافتى بعض فقهاء السودان بعد ان سئل عن الطبقا بما صورتهُ : وفي السنة الخامسة بعد الالف ظهرت اوراق شجرة في بلد تنبكتو حرسها الله تعالى يسمى طبقا ابتلى الله سبحانهُ بتدخينها وشرب دخانها في كل وقت » الى آخر الفتوى

ثم ذكر ان صديقاً اخبرهُ ان احد الانكليز قدم لهُ شيئاً منهُ ليأكلهُ ولعلهُ يريد ليمضغهُ فابى وقال انهُ ممزوج بشحم الخنزير

اما البرّ الرومي فيريد بهِ المؤلف بلاد الترك . والمجوس يريد بهم غير المسلمين من السود لا مجوس الهند المعروفين في ايامنا بالبارسيين او الفارسيين . والتتون لا يزال يعرف بهذا الاسم في كثير من انحاء بر الشام واظن معناهُ دخان بالتركية. والطبقا هو اللفظ الافرنجي وهو من اصل اميركي لا من الطيّاق العربية كما ظن بعض علمائنا الافاضل فالطباق او حشيشة البراغيث نبت يشبه ورق ايوب كثيراً وهو من فصيلتهِ وانما يختلف عنهُ بزوجتهِ وهو النبت المعروف في جبل لبنان بالطيّون ولا يزال يعرف في الحجاز بالطباق الى يومنا

ومن الغريب سرعة انتشار الدخان في الشرق واواسط افريقية فقد ظهر في الشرق كما تقدم سنة ٩٩٩ هجرية وفي اواسط افريقية سنة ١٠٠٥ اي بعدها بست سنوات وبعد ظهوره في اوربا بمدة قصيرة مع ان البطاطس التي نقلت الى اوربا في السنة التي نقل فيها الدخان لم تكن معروفة في سورية قبل اوائل القرن الماضي نقلتها اليها اللادي استير ستانهوب الشهيرة . ولم يرد ذكر الدخان في تذكرة داود الانطاكي على ما اذكر مع انهُ ظهر في اواخر حياتهِ وقد توفي داود سنة ١٠٠٥ للهجرة . وقد ذكرهُ عبد الرازق الطبيب الترنسي في مفرداتهِ التي نقلها الى الفرنسوية لاكلير ناقل مفردات ابن البيطار ولا يحضرني الآن التاريخ الذي كتب فيهِ عبد الرازق وقد كان ذلك بعد الانطاكي

باريس امين معلوف